

طفيس - إسنا - محافظة الأقصر: الأربعاء ٢٠٠٩/١١/٨ غرة ذو الحجة ١٤٣١ هجرية

فضل العلم والعلماء عند الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله العزيز العليم ، رفع شأن العلماء وجعلهم في الدنيا قادة وفي الآخرة سادة ، وجعل لهم عنده الحسنى والزيادة ..
والصلاة والسلام على الحبيب الأنور ، وصاحب النور الأكبر والقلب الأطهر .. سيدنا محمد وآله وصحبه والقائمين على
سنته وهديه إلى يوم الدين ، وعلينا معهم أجمعين .. آمين .. آمين يا رب العالمين .. إخوانى وأحبابى بارك الله عز وجل فيكم
أجمعين ..

ما أفضل نافلة يتقرب بها العبد إلى مولاه ؟ ..

يختلف العباد في ذلك ، فمنهم من يقول : قيام الليل ، ومنهم من يقول : صيام النهار ، ومنهم : من يقول : تلاوة القرآن
، ومنهم من يقول : ذكر الله عز وجل .. لكن لو رجعنا إلى ما ورد في الصحيح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن
أكبر ما يتقرب به العبد إلى ربه بعد أداء الفرائض المفترضة ، هو تحصيل العلم ، أو تعليم العلم .. فالعلم هو عبادة الأنبياء ..
ولذلك لما أمر الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب الزيادة .. لم يحدد له طلباً للزيادة إلا في العلم :

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه ١١٤) وقد عظم الله العلماء وقال في شأنهم :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة : ١١) هذه الدرجات يكفى فيها أن العالم الذى
يدل الناس على الخير وينهاهم عن المنكر والبغى ، يدخل فى خصوصية الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم .. كيف ؟

من خصوصيات رسول الله قول الحق عز وجل لنا فى شأنه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب : ٥٦) ولم يقل صلوا [بصيغة الماضى] ولكن بصيغة المضارع
المستمر .. أى ما زالوا يصلون .. فهذه هى الخصوصية للذات المحمدية ، خلعتها الحبيب بنفس رضىة على العلماء الذين يدلون
الناس على الخير فقال فى شأنهم :

(إن الله وملائكته حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحيتان فى بحورها ، ليصلون على معلم الناس الخير) ..

وأنظروا إلى مدى المشاركة فى الخصوصية ، فكما أن الله وملائكته يصلون على حضرة النبي .. فإن الله وملائكته وكل
الكائنات العلوية والبحرية والأرضية يصلون على معلم الناس الخير .

ولو بحثنا فى الأجر والثواب .. ما وجدنا فيما ورد إلينا من الشرع الشريف وسنة النبي الأواب ما يضارع مجلس علم وإن
قل فمن ذلك قول الحبيب صلى الله عليه وسلم :

(لإن تغدوا . أى تصبح . فتعلم باباً من أبواب العلم خير لك من ان تصلى مائة ركعة) ، وقوله فى الحديث الذى يرويه
الإمام السيوطى فى الجامع الصغير :

(ساعة من عالم متكى على أريكته يطالع فى كتابه خير من عبادة سنة) ، والساعة فى قول رسول الله أوفى كتاب الله أو
فى معنى لحظة :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (لقمان : ٥٥) والساعة يعنى لحظة ، لأن المواقيت المعروفة الآن مثل الساعة واليوم والسنة نحن الذين صنعناها .

وبين صلى الله عليه وسلم فضل العالم وذلك حتى نعرف فضل العلماء فنحترمهم ونجلهم ونقوم بالواجب نحوهم فقال : (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب) ، فإنها مكانة عظيمة يكفى فيها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى : أين العابدون ؟ .. فيقومون فيأمرهم إلى الجنة .. ثم يقول أين العلماء فيقومون ، فيقول إهبطوا إلى أرض الموقف ، وكل من قدم إليكم معروفاً من أجلى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة ، إنى لم أضع علمى فيكم لأعذبكم ، وإنما وضعته لأكرمكم)

فالعالم يشقعه كما ورد فى الرواية الأخرى فى سبعين من أهله كلهم قد إستوجبوا النار ، وذلك لمن كان على قدره ، وكلما زاد علمه بالله وزاد فى تقوى الله وخشية الله ، زاد مدده عند الله فى الشفاعة التى يؤزعه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على العلماء يوم لقاء الله جلّ فى علاه .

ناهيك عن أن النبى يُبين أن العلماء أفضل من الشهداء ، والشهداء يقول فى حقهم ، وفى جهادهم صلى الله عليه وسلم : (إنّ الله أعد للمجاهدين فى سبيله مائة درجة فى الجنة ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) ثم يقول عن العلماء (يؤزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء ، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء)

ولذلك كان سيدى أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول : { مع المحبرة إلى المقبرة } فلا يتنازل عنها .. ولذلك جمع فى مسنده الصحيح أربعين ألف حديث .. هذا بخلاف ما جمعه من أحاديث كثيرة ، ناهيك عن علم الفقه الذى تعلمه من الإمام الشافعى ، وغيرها من العلوم الشرعية والعلوم التفسيرية ، وعلم السيرة التى جمعها وحصلها ليرضى بها الحى القيوم عز وجل .. وبين النبى صلى الله عليه وسلم حاجة هذا الزمن بالذات إلى العلم ، فقال لأصحابه :

(أنتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطبأؤه كثير معطوه قليل سائلوه .. العمل فيه خير من العلم .. وسيأتى على الناس زمان .. هو مانحن فيه الآن . كثير خطبأؤه .. قليل فقهاؤه ، كثير سائلوه قليل معطوه .. العلم فيه خير من العمل)

فخير عمل يقوم به الإنسان فى هذه الحياة الدنيا مدرسة العلم ، حبذا لو كان هذا العلم هو العلم بالله ، وكتاب الله وبشرع الله ، وبسيرة رسول الله ، وبحياة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن هذا العلم هو العلم النافع الذى وعى لطالبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان يقول فيه ويُعلمهم أن يقولوه : (اللهم إنّنا نسألك علماً نافعاً) فهو العلم النافع الرفع .. والحمد لله قد دلنا مشايخنا على هذا الباب ، وهذه هى حكمة العلماء العاملين الذين رفعهم الله عز وجل ، ورفع شأنهم وجعلهم يجوزوا درجة الصالحين ن فهم يوجهون المرادين إلى العلم .

أما عن نفسى فقد فكت فى بدايتى أميل إلى التّعب ، وكنت أكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله آناء الليل وأطراف النهار ، وأقرأ القرآن ، وأصوم الإثنين والخميس ، والثلاثة أيام البيض من كل شهر ، وكذلك الأيام الفاضلة ، وكنت أيضاً أتهد بالليل ، وكان كل همى فى العبادة .. وظللت على هذا الحال طالباً للصفاء والنقاء ، والحمد لله عز وجل حتى إجتمع على شيخى الشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه ، فقال يا بنى عليك بالعلم ، وكان كلما إستأذنته فى عبادة ، يقول لى عبادتك أن تُقلب فى كتب العلم ، وتستخرج منه دُررها ، وتستخرج منها خيرها وتخبر الناس به .. فإنّ الناس فى أمس الحاجة فى هذا الزمان

إلى العلم .

فالعابد ينفع نفسه ، ولكن العالم كالشمس يضيء لمن حوله ، وهذا هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه : (العلماء سُرج الدنيا ومصايح الآخرة) وهم الذين يبيرون للناس الطريق ويكشفون لهم عند الظلمات ويبيّنون لهم الحلال من الحرام ، ويبيّنون لهم طريق الهدى ، ويسوقونهم إلى الله سوفاً حيثاً إلى الطريق المستقيم وعلى النهج القويم الذى كان عليه سيدنا رسول الله وصحبه الكرام .

ولمّا طالعت سيرة أصحاب رسول الله وجدت أنّ هذا كان هديهم ومنهجهم ، فقد كان كل همهم هو طلب العلم ، وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يذهب إلى سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه ، وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعة معرفته العلمية الإلهية ، أن ورّع هذا العلم وهذه الإختصاصات بين أصحابه ، وذلك لأنه من المستحيل أن يجمع واحداً فقط كل هذا العلم فقال صلى الله عليه وسلم:

(وأرحم أمتى يامتى أبو بكر ، وأقواهم فى دين الله عمر ، وأشدّهم حياءً عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفقههم على ، وأفرضهم - أى فرائض علم الموارث - زيد بن ثابت ، وأقرأهم أبى بن كعب) ..

وهو بذلك قد خصّصهم ، لأنه يعلم أنه ليس هناك أحدٌ يستطيع أن يجمع بين هذه التخصصات ..

وكانوا جميعاً يحرصون على هذا التقسيم العظيم الذى قسمه النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وكان عمر مع شدة ورعه ، وكثرة علمه يطلب على عند الفتوى ، ويقول أين على ، ويقول فى آتات كثيرة : { لولا أبو الحسن ، لهلك عمر } وذلك لبيان مكانة المفتى ، ولمّا جمع المسلمين على صلاة التراويح ، وهو حافظ للقرآن ، إلا أنه إحترام تخصيص حضرة النبى ، وقال :

{ أين أبى ؟ .. وقدم أبى ليصلى بالمسلمين صلاة التراويح كما أشار حضرة النبى } .

وكان المفتى يفتى فى المسائل الفقهيّة فقط .. أما الحلال والحرام ، فقد كان تخصّص معاذ بن جبل والفرائض زيد بن ثابت .. ومن أراد القراءات المتواترة ، فأبى بن كعب ، وكان بن عباس يحصل العلم من مظانّه :

ولذلك حصل الحلال والحرام من معاذ ، وحصل التأويل والتفسير من عمر وعلى ، وحصل الفقه من الإمام على .. وكان يذهب لسيدنا زيد بن ثابت يتعلم منه الفرائض ، وكانت تأتية المسائل فيتخرج أن يفتى فيها حتى يسأل زيد ، فكان يذهب إليه آونة فى ساعة الظهر ، ويجلس خارج البيت فى الحرارة الشديدة ، حتى يستيقظ زيد من نومته ويقول للخادم لا توقظه فإذا استيقظ من نومته قالوا له :

{ إن ابن عباس فى الخارج فيقول : ولما لم تدخلوه وتوظوني ؟ فيقول ابن عباس : كرهت ذلك يا صحابي رسول الله ، وإذا أراد زيد أن يذهب ليؤدى الصلاة فى مسجد رسول الله يركب بغلته فيمسك ابن عباس بسرجها فيقول : ما هذا يا ابن عم رسول الله ؟ فيقول : هكذا أمرنا أن نفعل مع علمائنا فيقول زيد : أرني يدك ، فيمسك بها ويقبلها ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل مع آل بيت نبينا }

إحترام وتوقير من الجميع ، بقول نبينا صلى الله عليه وسلم فى الروايه التي يرويها أبو داود رضى الله عنه :

(ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه) إذأ فطلب العلم والإستزاده من العلم بنية العمل أولاً وبنية منفعة المسلمين ثانياً أكبر نافله يتقرب بها العبد إلى مولاه جل فى علاه وقد يكرم الله عز وجل العبد فى الآيات بإخلاصه

وصدقه فيفيض عليه علماً من لدنه ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف : ٦٤) وذلك يتوقف على الإخلاص والعمل لقوله صلى الله عليه وسلم : (من عمل بها علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم) إذاً من هم الأولياء ؟

الأولياء على الحقيقة قديماً وحديثاً : هم العلماء العاملون ، ولا نرى لهم تعريفاً آخر غير هذا : عالمٌ عمِلَ بعلمه فعلمه الله ما لم يكن يعلم ، وهؤلاء أولياء الله عز وجل وفيهم يقول صلى الله عليه وسلم :

(من أعطى الله ومنع الله وأحب الله وأبغض الله ، فقد استكمل ولاية الله عز وجل)

فمن الذي يفعل ذلك إلا العلماء ، لأنهم إذا أحبوا يُحبوا لله ، لا لغرضٍ ولا لمنفعةٍ عاجلةٍ ، وإنما يحبون المرء لله ويبغضون المرء لله ، لالذاته ولا لصفاته .

وكذلك يعطون الله ولا ينتظرون الأجر وحسن الجزاء إلا من حضرة الله - أما إذا منعوا : فلأن الله منعهم عن هذا العمل - ولذلك فهم وحدهم أولياء الله .

ولذلك نجد أن جميع أئمة هذا الدين أولياء : فأصحاب الفقه والمذاهب المعتمده كلهم علماء أولياء ، ولهم كرامات تحويها المجلدات ، وكذلك مشايخ الأزهر منذ إنشائه إلى عصرنا هذا وكبار علمائه الأجلاء كلهم أولياء ، وآخرهم كان الدكتور عبد الحلیم محمود رحمة الله عليه . علماء وأولياء ولهم كرامات ولهم فيوضات وتجليات يجريها الله عز وجل لهم .

فمنهم من كان إماماً لأهل التحقيق ، وإماماً للطريق وإماماً للتشريع كالشيخ الدردير والشيخ الحفني وغيرهم ... ومنهم من كان لا يظهر الطريق ولا يظهر بين الخلق ما هو عليه من تحقيق ، لكن الله حققه باطناً بما عمل به من الشرع وله آيات باهرات وكرامات مسفرات يؤيده الله عز وجل في الحياة قبل الممات ، لأنه منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فهم علماء حكماء فقهاء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء .

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا جميعاً علماً نافعاً وعملاً رافعاً وقلباً خاشعاً ولساناً ضارِعاً وأن يجعلنا من أهل العلم والعمل وأن يوفقنا ويحفظنا من كل خطئٍ وزللٍ ويجعلنا من عباده المُسَدِّدين والممدُودين من حضرته في كل وقتٍ وحين ، ولا يتخلى عنا بعناية طرفة عين ولا أقل ولا يُحوجنا إلى أحدٍ من خلقه أجمعين ، ويجعلنا أغنياء بحضرته ، أعزّة بما يفيؤه علينا من مقام عزته وكرامته وأن يمتعنا في الدنيا بقربه ومودته ، وأن يجعلنا في الآخرة من أهل النظر إلى جمال طلعتة وأن يحشرنا في الجنة بجوار حبيبه ومصطفاه وأن يجعلنا من أهل الشفاعة يوم لقياه .

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم